مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد: 05 العدد: 01 يناير 2022 ص ص: 454-467
ر ت م د (ISSN): 2602-618X / ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

ملاحظات وانطباعات حول الحركة الوهابية والدولة السعودية الأولى من خلال كتاب المستشرق الفرنسي: ألكسندر أوليفيه دوكورانسيه (1770-1832) نحو تأصيل ترجمة النص الأصلي للكتاب

Observations and impressions about the Wahhabi movement and the First Saudi State Through the book of the French orientalist Louis-Alexandre-Olivier de Corancez 1770-1832 Towards the rooting of the translation of the original text of the book

حنيفي هلايلي ♦

جامعة سيدي بلعباس، الجزائر hanifi_andalous@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2021/12/20 تاريخ القبول: 2022/01/18 تاريخ النشر: 2022/01/31

الملخص: يعتبر كتاب المستشرق الفرنسي دو كورانسيه (1770 . 1832) «تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم حتى عام 1809»، مرجعا مهمّا في تفسير الأحداث المتّصلة بالانتصارات العسكرية للحركة الوهابية، في مجالها الجغرافي المتصل بالفضاءين الحجاز والعراق. إن أصل الكتاب عبارة عن مقالات نشرتها إحدى مجّلات فرنسا، وهذا في أوائل القرن التاسع عشر في مجلة لومونيتور le Moniteur . من خلال دراسة ما سجله دو كورانسيه من ملاحظات ، يتبين أنه يقيّم فنّيا العمليات العسكرية للسعوديين ، استغل دو كورانسيه مهارته وخبرته كرجل عسكري أثناء مشاركته في حروب نابوليون بونابرت أثناء حملته على مصر(1798-1801) ليكتب تقارير عسكرية. حينما تقلد مهام قنصل فرنسا في حلب، جمع معلومات عن الحركة الوهابية وبداية نشأت الدولة السعودية الأولى.

دون القنصل الفرنسي معلومات في غاية الأهمية في مجال اكتساب التقنيات الحربية الجديدة المناسبة لطبيعة الصحراء ابتكرها الأمراء السعوديون. استفاد القنصل الفرنسي من تقرير فرنسي سابق تحت عنوان «التذكرة في أصل الوهابيين وقوتهم ونفوذهم بعد أن أصبحوا أمة» للقنصل الفرنسي في البصرة جان ريمونJean Raymond . جمع دو كورانسيه مصادره خلال الأعوام الثمانية التي قضاها في حلب. **كانت هذه المقالات أول اشارات تاريخية تُنشر في فرنسا عن الوهابيين والدولة السعودية الناشئة.**

تحاول هذه الدراسة معرفة نصوص ترجمة محمد خير البقاعي وترجمة مجموعة من الباحثين لكتاب دو كورانسيه: الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ، الصادر عن دار رياض الريس للكتب والنشر ببيروت سنة 2003.

♦ المؤلف المرسل

Abstract:

The Book of the French Orientalist de Corancez (1770-1832) " History of Wahhabis from their inception until 1809", an important reference in interpreting events related to the military victories of the Wahhabi movement, In its geographical area related to the Hijaz and Iraq spaces. The origin of the book is articles published by a magazine in France. And that's in the early 19th century in The Moniteur. By studying the observations recorded by de Corancez. It turns out that he technically evaluates the military operations of the Saudis. De Corancez used his skill and experience as a military man while participating in the Napoleon Bonaparte Wars during his campaign against Egypt 1798-1801 to write taq.

When he took over as Consul of France in Aleppo, he gathered information about the Wahhabi movement and the beginning of the first Saudi state. Without the French consul, very important information. In the field of acquiring appropriate new warfare techniques. The nature of the desert was created by the Saudi princes. The French Consul benefited from a previous French report entitled « The Reminder of the Origin, Strength and Influence of the Wahhabis after They Became a Nation" by Jean Raymond, the French Consul in Basra. de Corancez collected his resources during his eight years in Aleppo. These articles were the first historical references to the Wahhabis and the emerging Saudi state in France. This study tries to find out the texts of the translation of Mohammed Khair al-Bekaai And a group of researchers translated de Courancer's book." Wahhabis are a history neglected by history". Issued by Riad Al-Rais Book and Publishing House in Beirut in 2003.

تزامن قيام الدولة السعودية الأولى(1157 - 1233 هـ / 1744 - 1818 م)[1] وتوسُّعها الإقليمي مع حقبة شهدت فيها فرنسا ضعفاً و أزمة داخلية، ونتيجة لذلك لم تولِ فرنسا

(1) هي دولةٌ قامت في شبه الجزيرة العربية، بعد الاتفاق الذي تمّ بين الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب، والذي ترتب عليه تكوين وحدةٍ سياسيّةٍ كبيرةٍ، على أرض شبه الجزيرة العربية، ضمن العديد من الكيانات السياسية الصغيرة التي كانت تتواجد في إقليم نجد. وكونت منها وحدةً سياسيّةً تخضع لنُظمٍ واحدةٍ، وظلت هذه الدولة قائمة حتى تمكن إبراهيم باشا، والي مصر، من إسقاطها بعد استيلائه على عاصمتها الدرعية في عام 1233 هـ/1818. توالى على حكم الدولة في هذه

اهتماماً للتطورات السياسية الحاصلة في شبه الجزيرة العربية، إلا أن نابوليون بونابرت (1769 - 1821 م) أعاد إحياء الطموح الفرنسي إلى وضع حد للهيمنة البريطانية على الهند عند دخوله مِصْر في اطار حملته العسكرية التوسعية ما بين (1798-1801 م)؛ لكنه أخفق في تشكيل تحالف ضد البريطانيين مع العثمانيين. وعلى أثر عودته إلى فرنسا، كشف اهتمامه بالتطورات التي كانت تحدث داخل الجزيرة العربية حيث أنه كان يبحث طوال الوقت عن منفذ بري إلى الهند. ففي سنة 1803 م كلف نابوليون بونابرت(1769-1821) قنصله في بغداد أوليفييه دي كورانسيز (Olivier de Corancez) [2] بالتحدث مع الأمير سعود بن عبد العزيز في حال تمكن هذا الأخير من السيطرة على جدة وبالتالي ضم كامل الحجاز لسلطته؛ لكنَّ هزيمة زعيم الدولة السعودية الأولى أمام هذه المدينة أنهت محاولة التحالف.[3]

أرسل نابليون العديد من المخبرين الفرنسيين إلى الجزيرة العربية، وحاول عقد تحالفات مع أهم زعيمين محليين وهما شريف مكة ثم زعيم الدولة السعودية الأولى. كان اهتمامه الواضح بالجزيرة العربية، الذي لم يلفت انتباه المؤرخين، نابعًا من اعتباره إياها

المدة أربعة حكام، ولعبت الدولة السعودية الأولى منذ قيامها دورًا كان له آثارٌ بعيدةٌ في التغير الذي أصاب شبه الجزيرة العربية في مختلف ميادين الحياة سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا، حيث وحّدَت ليس فقط الكيانات النجدية الصغيرة بل امتد نفوذها على معظم أجزاء شبه الجزيرة العربية، وهددت كلًا من العراق والشام، وظلّت تتسع حتى سقطت الدرعية في عام 1818م. وأحدثت الدولة السعودية الأولى نظامًا اقتصاديًا قائمًا على الشريعة الإسلامية كان له أثر بعيد على سكان المناطق التي خضعت لنفوذها ونظمت أمور هذه المناطق الاقتصادية والمالية. ونجحت في إقامة مجتمعٍ مترابطٍ اجتماعيًا طيلت فترة سيادتها. وقد شجع حكام الدولة السعودية الأولى العلم والعلماء، وإحياء العلوم الشرعية.

(2) لويس ألكسندر أوليفيه دوكورانسيه (1770-1832) هو مستشرق فرنسي مختص في علم الأثار و الرياضيات. اشتهر بكتابته عن تاريخ الجزيرة ونشأة الوهابية. كان ضمن البعثة العلمية الفرنسية التي رافقت حملة نابليون على مصر. التحق بالحملة في عام 1799 م، تقلد مهام قنصل فرنسا بالجزائر ثم أصبح بعد ذلك قنصلاً في حلب و بغداد ، وعضواً في الأكاديمية الفرنسية (1816-1832) ، وعضو المعهد الفرنسي المصري الاقتصادي و السياسي(1798-1801) ، كما عمل كعضو مراسل لحلقة الآداب و التاريخ القديم.

(3) كانت نهاية الدولة السعودية الأولى على يد والي مصر العثماني محمد علي باشا وابنه إبراهيم باشا الذي قاد الحملة المصرية الثالثة إلى وسط الجزيرة العربية واستطاع الوصول إلى الدرعية عاصمة الدولة بعد معارك عديدة فدمرها وأنهى الدولة السعودية الأولى وقبض على الإمام عبد الله بن سعود وأرسله مع من وجد من آل سعود إلى إسطنبول عاصمة الدولة العثمانية حيث أعدموا هناك.

حليفًا محتملً وليست هدفًا في حد ذاتها، لكن ما يثير الاهتمام هنا، أنه الوحيد من بين جميع القادة في تاريخ فرنسا الذي أبدى مثل هذا الاهتمام.

استفاد دو كورانسيه من تقرير فرنسي تحت عنوان «التذكرة في أصل الوهابيين وقوتهم ونفوذهم بعد أن أصبحوا أمة» للقنصل الفرنسي في البصرة جان ريمون، وهذا المصدر يعدّه الكاتب أول من أمدّ فرنسا بأخبار عن دعوة محمد بن عبد الوهاب ، و دو كورانسيه من الذين رافقوا نابليون بونابرت في حملته على مصر، وصاحب «تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم حتى عام 1809». غلبت على كتاباته النزعة العلمية، وخاصة ما يتعلق بالهندسة وعلم الطبيعة.

ثارت شكوك حول دوكورانسيه وكتابه عن تاريخ الوهابيين وطال الجدل. لقد نشر دوكورانسيه قسماً من كتابه بداية في صحيفة (لومونيتورle Moniteur) في عام 1804م. ثم أعيد نشر تلك المقالات في مجلة (فرانكفورت) la gezette de Francfort قبل أن يخرج الكتاب كاملاً عام 1810م. وكان قد جمع مادة الكتاب خلال الأعوام الثمانية التي قضاها في حلب. كانت المقالات على صغرها أول نبذة تاريخية تُنشر في فرنسا عن الوهابيين. ويقول دوكورانسيه إن مقالاته التي نشرها في صحيفة لومونيتور[4] سطا عليها روسو Rousseau ونشرها ضمن كتابه :وصف ولاية بغداد الذي نُشر في باريس عام 1809م ،وقد شهد بذلك عدد من أعضاء الأكاديمية الفرنسية مثل: باربي دو بوكاج(Jean-Denis Barbié du Bocage)(1760-1825).[5] أمّا الكاتب دو كورانسيه فيعتبر كتابه الذي هو في أصله مقالات نشرتها صحيفة لومونيتور في أوائل القرن التاسع عشر، و التي تعد مرجعا مهمّا في تفسير الأحداث المتّصلة بالانتصارات يقيّم فنّيا العمليات العسكرية، مستغلّا مهارته باعتباره من رجال نابوليون بونابرت إبّان الحملة العسكرية لمقاتلي الوهابية، وفي مختلف الوقائع ولا سيما على الساحتين الحجازية والعراقية. حيث نجده على مصر. ونجده يشرح خفايا التفوّق الوهابي الكاسح في جهات داخل الجزيرة العربية وفي جوارها. ويرجع هذا التفوّق لتقنيات حربية جديدة مناسبة لطبيعة الصحراء ابتكرها الأمراء السعوديون. مع الإقرار بأنّ الكتاب يحمل ملاحظات تستدعي مناقشتها.

---

(4) لومونيتور هي صحيفة فرنسية أسسها شارل جوزيف بانكوكي(Charles-Joseph Panckoucke (1736-1798 في باريس في 24 نوفمبر 1789 واختفت في 30 جوان 1811. وهي مجلة الدعاية التي كانت لفترة طويلة الجهاز الرسمي للحكومة الفرنسية ، والمسؤولة بشكل خاص عن نسخ المناقشات البرلمانية .استمرت الصحيفة في الصدور إلى غاية 30جوان 1901.

(5) جغرافي و مصمم خرائط، مبعوث لوزارة الخارجية الفرنسية في عهد الملك لويس السادس عشر منذ العام 1780.ارتقى إلى رتبة مستشار عسكري لدى وزارة الحرب في عهد نابوليون سنة 1802.

لا بد من الإشارة هنا أن الفرنسيين اهتموا بتسجيل الأحداث التي رافقت ظهور الحركة الإصلاحية الوهابية و تحالفها الإستراتيجي مع قيام الدولة السعودية الأولى[6]. فما بين عامي 1802 و 1818 م خصصت فرنسا ستة كتب للحديث عن الدعوة الوهابية و قيام الدولة السعودية ، بنما لا نجد كتاباً باللغات الأوروبية، و معظم هذه الكتابات عبارة عن تقارير استخباراتية[7].

(6) الدولة السعودية الأولى (1157 - 1233 هـ / 1744 - 1818 م) هي دولةٌ قامت في شبه الجزيرة العربية، بعد الاتفاق الذي تمّ بين الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب، والذي ترتب عليه تكوين وحدةٍ سياسيّةٍ كبيرةٍ، على أرض شبه الجزيرة العربية، ضمن العديد من الكيانات السياسية الصغيرة التي كانت تتواجد في إقليم نجد. وكونت منها وحدةً سياسيّةً تخضع لنُظمٍ واحدةٍ. توالى على حكم الدولة في هذه المدة أربعة أمراء، ولعبت الدولة السعودية الأولى منذ قيامها دورًا كان له آثارٌ بعيدةٌ في التغير الذي أصاب شبه الجزيرة العربية في مختلف ميادين الحياة سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا، حيث وحّدَت ليس فقط الكيانات النجدية الصغيرة بل امتد نفوذها على معظم أجزاء شبه الجزيرة العربية، وهددت كلًا من العراق والشام، وظلّت تتسع حتى سقطت الدرعية في عام 1818. وأحدثت الدولة السعودية الأولى نظامًا اقتصاديًا قائمًا على الشريعة الإسلامية كان له أثر بعيد على سكان المناطق التي خضعت لنفوذها ونظمت أمور هذه المناطق الاقتصادية والمالية. ونجحت في إقامة مجتمعٍ مرابطٍ اجتماعيًّا طيلت فترة سيادتها. وقد شجع حكام الدولة السعودية الأولى العلم والعلماء، وإحياء العلوم الشرعية.

(7) من بين هذه الكتب:

- Jean Baptise Louis ,Rousseau, Description du pachalik de Bagdad, suivie d'une notice historique sur les wahabis,et de quelques autres pièces relatives à l'histoire et à la littérature de l'orient,Paris,Treuttel,1809.

وصف بشواتي بغداد سنة 1809، ترجمة: خالد عبد اللطيف حسن، (بغداد: بيت الحكمة)، 2012

- Jean Raymond, Mémoire sur l'origine des Wahabys : sur la naissance de leur puissance et sur l'influence dont ils jouissent comme nation, Paris, imp., institut français d'archéologie orientale pour la société de géographie d'Egypte, 1925.7 Vol.

التذكرة في أصل الوهابيين و دولتهم، ترجمة: محمد خير البقاعي(الرياض: دار الملك عبد العزيز)، 2003.

- Louis Alexandre de Corancez, histoire des Wahabis, depuis leur origine jusqu'à la fin de 1809, Paris, crapart, 1810.

- Louis de Corancez, Description du Pachalik de Bagdad suivie d'une notice sur les Wahabis, Paris: Treuttel et Würtz, 1809.

لمراجعة هذا الإنتاج التاريخي الفرنسي، يرجى العودة إلى: محمد خير البقاعي، من رحلات الفرنسيين إلى الجزيرة العربية، (الرياض: دار التراث)، 2004.

أشار كورانسيه في مقدمة كتابه إلى أن البحث السابق كان بحثه الخاص. كما شدد على أصالة مقالته المنشورة في أكتوبر 1804.و من الواضح جدا أن تفوق دراسته متكاملة وجذابة على الحركة الإصلاحية الوهابية. لقد قدم للجمهور الفرنسي فما يبدو في نظره المظهر شبه المجهول عن الوهابيين في الجزيرة العربية. و قد عرض الفصول الخمسة الأولى من نصه المبكر في Le Moniteur على القراء بواسطة نسخة مصححة ، مع مساحة أكبر للأحداث اللاحقة حتى عام 1809 ، بما في ذلك الفتح السعودي الثاني لمكة المكرمة ، وتوغلات جديدة في بلاد ما بين النهرين ، وتهديدات لسوريا ومصر، حتى تسمية عبد الله وريثًا لعرش سعود. ومع ذلك ، كان المقصود من كتابة تاريخ السعوديين خلال هذه الفترة بأقلام فرنسية أن يكون أكثر من مجرد سجل دقيق. حاول المؤلف تجميع كل ما كان متاحًا لتقديمه للقراء في فرنسا حول الموضوع ، بما في ذلك وأحدث المعلومات حصل عليها منافسه روسو. تماشياً مع الذوق المعاصر .كما ذكر بشيء من الاستهزاء حول طبيعة المسلمين و خيانتهم للقرآن الكريم و عدم تطبيق تعاليمه ،
و التعرض لقضية تعدد الزوجات
و احتقار النساء. أكدت مقدمة كورانسيه أنه حصل على تفاصيل معلوماته عن أصول الحركة الوهابية من مسيحي ماروني من حلب اسمه " دييغو فرانجي" المتميز بعلمه
و الضليع باللغات الشرقية .و قد تم التحقق من المعلومات وإثرائها لاحقًا من خلال المراسلات النشطة والمستمرة "مع المقيمين الأوروبيين في أهم مدن المقاطعات العثمانية أو الإصلاح « réformé »، على عكس التدين الإسلامي الواسع النطاق الذي يُنظر إليه على أنه مؤمن بالخرافات ، باختصار ، يشبه الكاثوليكية كما يراها البروتستانت، هجوم مدمر من قبل هؤلاء الإصلاحيين داخل مدينة مكة المكرمة. لقد أضافت الوهابية حسب القنصل الفرنسي التسامح مع المسيحيين واليهود ، ولكن ليس مع المسلمين الآخرين." [8]

نعترف بداية بأننا لا نتوفر على معلومات كافية حول مصادر الكتاب الذي بأيدينا ، وهو ما يعني ان جوانب مهمة من معطيات التقارير المسجلة تبدو غامضة. خاصة ما يتعلق التفوّق الوهابي الكاسح و التقنيات الحربية الجديدة المناسبة لطبيعة الصحراء التي ابتكرها الأمراء السعوديون.و الأمر اللافت للانتباه و يجب التنويه به هو ماهي طبيعة المهمة الديبلوماسية التي كلف بها نابوليون **دو كورانسيه** سنة 1803م إلى أمير الدولة

(8) Giovanni Bonacina, « The Wahhabis Seen through European Eyes (1772–1830)", In The History of Oriental Studies, Vol.1, LEIDEN, 2015 Brill,The Netherlands.

السعودية سعود بن عبد العزيز(1803-1814م/1218-1229هـ)؟ برزت مشكلة أخرى تتعلق بإمكانية سطو دوكورانسيه على تقارير مواطنه **جان ريمون** Jean Raymond صاحب كتاب: (التذكرة في أصل الوهابيين، وفي ظهور قوتهم والنفوذ الذي يتمتعون به بوصفهم أمة) وصدر في باريس عام 1806م . كان **جان ريمون** ضابط المدفعية في جيش سليمان باشا الكبير ببغداد خلال الفترة التي أقام فيها **كورانسيه** في حلب. ولا يستبعد أن **كورانسيه** اطلع على تقارير **ريمون**.

يمكن الانطلاق في قراءة تقرير القنصل الفرنسي في بغداد جان ريمون بتاريخ (1809) حيث نقرأ مبحثاً في أصول الوهابية ونشأة قوتهم وفي النفوذ الذي يمتعون به، كما قدمه القنصل الفرنسي (جان ريمون) في بغداد للخارجية الفرنسية في القرن التاسع عشر. وقد جاء في تقديم هذا البحث : " بعد حملة نابليون على مصر فوجئت أوربا بوجود قبيلة تدعى الوهابية قادمة من قلب الجزيرة العربية، استولت على مكة المكرمة والمدينة المنورة، المدينتين المقدستين في قدس أقداس الإسلام نفسه. على أثر ذلك تناول الرواة والمؤرخون الحدث ونتائجه، ونشرت مجلة (لومنيتور) في 13 أكتوبر 1804 رسالة من إزمير يعود تاريخها إلى 15 سبتمبر، جاء فيها: يقال بأن الوهابية مثار قلق دائم، كما هي مثار فضول كبير".أخطأ الكاتب الفرنسي حين اعتبر أن الوهابيين هم "قبيلة" بل هم مجموعة من القبائل العربية التي اتبعت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وقد خلطت الوثيقة الفرنسية بين الوهابية كمذهب وبينها كدين جديد... وفي هذا خلط ناتج ربما عن جهل استشراقي بطبيعة الحركة الوهابية ك "مذهب" يحاول أن يعود إلى أصول الدين لا أكثر. وتصف الوثيقة الفرنسية الإمام محمد بن عبد الوهاب بالقول:" إنه في الواقع إنسان مقدام وحاذق، شجعته الظروف المواتية لتحقيق الحلم الذي خلّفه في ذهن قبيلته، فاستخدمه بمهارة كي يحظى باحترامهم، ويظهر أمامهم بصفة صاحب دعوة، وتشاء الظروف أن يجد دعماً لقداسة رسالته كونه سليل عائلة النبي محمد، وبسهولة تم تسليمه دفة القيادة".[9]

وعن تحالف محمد بن عبد الوهاب مع مؤسس الدولة السعودية الأولى محمد بن سعود، الذي تختصر الوثيقة الفرنسية اسمه إلى (سعود) تقول الوثيقة : "سعود هذا كان على رأس أمة كبيرة تتألف من قبائل آل نجد وآل عنزة وآل عتوب، الذين اختاروه زعيماً عليهم. من صفاته الإقدام وحبه للغزو. وما الدعوة الجديدة سوى وسيلة لتحقيق مطامعه، وحجة يسعى من ورائها إلى تحقيق الانتصار. فكان من السهل لقاء صديق موثوق به، فاعتنق دعوة ابن عبد الوهاب، وكان قدوة احتذاها جميع الذين كانوا تحت إمرته. تقاسم (محمد) و(سعود) السلطة على رأس هذه الأمة الجديدة. احتفظ الأول بالسلطة الروحية،

(9) Ibid.

فيما انصرف الثاني للاهتمام بالأمور الزمنية، وتعاهدا على صيانة هذا التقاسم حافظاً للأجيال القادمة من ذريتهما، كما اتفقا على اختيار (الدرعية) المدينة المحصنة جيداً، الواقعة جنوب غرب بغداد في وسط صحراء شاسعة، وعلى مسافة 12 يوماً من البصرة كي تكون عاصمة هذه الإمبراطورية الناشئة ".

بعد وفاة محمد بن سعود عام (1765م) ، خلفه ابن عبد العزيز الذي عاصر الإمام محمد عبد الوهاب (1703 - 1791) لمدة (26) عاماً، حتى وفاة الأخير. وقد اغتيل عبد العزيز عام 1803 على يد فارسي اسمه (ملا عثمان) من أهالي كربلاء التي هاجمها الوهابيون في نيسان من عام 1802 وارتكبوا فيها مذبحة تفاوتت الأعداد في تقدير ضحاياها، كما قاموا بنهب نفائس مرقد الحسين.. إلا أن القنصل الفرنسي يصف شخصية عبد العزيز هذا بالقول : " عُرف عبد العزيز بحسن سياسته وبمهارة قيادته على السواء، وكانت العدالة هي التي توجه جميع تصرفاته، فكان ينفق مما يدخّر، تملؤه مشاعر الإنسانية، مما أكسبه قلوب رعاياه، وبشكل أدق غدا كأب لهم، دائم الحراك واليقظة، لم يكن يتوانى عن أي شيء في سبيل كسب احترامهم. ولقد أدرك مذ توليه السلطة أن الغنائم أمر في غاية الأهمية، وعندما سمع جنوده يهمسون فيما بينهم أن القسم الأكبر من الغنائم تذهب لقادتهم، أعطى الأوامر بتوزيعها بعدل؛ وبعد أن لاحظ بالتالي أن معظم القبائل العربية كانت مترددة في تبني الأفكار الوهابية خوفاً من نهب ثرواتها، أعلن أن أي أحد يقر قانونه الذي هو قانون القرآن الكريم، والذي هو قانون الله سبحانه وتعالى، لن يصيبه أي أذى، إن في شخصه، أو في ممتلكاته. إن حصافة مثل هذا الأمر كان له التأثير الإيجابي المأمول".[10]

هذه التقاطعات في المجالات و الفضاءات ، المشفوعة بذلك الأخذ و العطاء المرتبط بالكتابة التاريخية، جعلت الكاتب الألماني موسيل ألويس يكتب ما نصه : " وصلت امتدادات الدولة السعودية في عهد الأمير سعود بن عبد العزيز ذروتها ، و هذا أمر لم يتحقق في جزيرة العرب لا في عصر النبي عليه الصلاة و السلام و لا في عصر خلفائه الراشدين، و إنما تحقق على يد حاكم الدولة السعودية القوي."[11]

أورد عناوين الفصول كما وردت في النص الفرنسي من خلال ترجمة الكتاب عند ترجمة مجموعة الباحثين ثم ترجمة محمد خير البقاعي. وترجمة هذا الأخير لا شك عندي أنها

(10) Ibidem.

(11) موسيل ألويس، دراسة في تاريخ الدولة السعودية، ترجمة عن الألمانية و علق عليه: سعيد بن فايز السعيد، (الرياض : الدار العربية للموسوعات)، ط1، 1424هـ- 2003م، ص ص 84 -85.

جيدة مستوفاة شروط الدقة و الأمانة العلمية في نقل النص، إذ تم تحقيقها وتزويدها بتعاليق مهمة.[12]

عناوين فصول الكتاب : ترجمة دار ضياء الريس

1) أصل الوهابيين (2) الوهابيون وعاداتهم (3) الحملة الأولى ضد الوهابيين (4) دخول مكة (5) كر وفر (6) الوهابيون بعد موت عبدالعزيز (7) الهجوم على البصرة) (8) حملة باشا بغداد ضد الوهابيين (9) دخول المدينة (10) الهجوم على مناطق الإمام علي والزبير والسماوة (11) دخول جدة وتوقف الحج إلى مكة (12) الوهابيون في سورية ومصر (13) القواسم بين الوهابيين والانكليز (14) آراء في الوهابيين.

عناوين فصول الكتاب : ترجمة محمد البقاعي

(1) تاريخ محمد بن عبدالوهاب وابن سعود (2) معتقد الوهابيين وعاداتهم (3) حملة باشا بغداد الأولى على الوهابيين والاستيلاء على مدينة الإمام الحسين (4) دخول مكة المكرمة (5) حصار جدة والهجوم على المدينة المنورة وهزيمة الوهابيين (6) وضع الوهابيين بعد موت عبدالعزيز وحملات سعود الأولى (7) أول هجوم وهابي على البصرة وموت إمام مسقط (8) حملة باشا بغداد على الوهابيين (9) الاستيلاء على المدينة المنورة واستقبال الحجاج في مكة (10) مهاجمة مشهد الإمام علي والزبير والسماوة (11) الاستيلاء على جدة وتوقف الحج (12) وضع الوهابيين والأقاليم المجاورة لهم في عام 1807م (13) أهم أحداث عام 1808م محاولات الوهابيين الوصول إلى سورية ومصر (14) آخر الحملات الوهابية على بغداد وهزيمة القواسم (15) تأملات في طبيعة الوهابيين وفكرة الهوية الوطنية التي تطورت لديهم لاحقاً (16) اعتبارات عامة تتعلق بطبائع الشرقيين. وأخيراً: التعاليق.

لا شك أن الفرق كبيراً بين عناوين فصول الكتابين. ناهيك عن التصرف غير المبرر بالعناوين نفسها، وحذف الفصول والتعاليق. وحتى نتبين، على سبيل المثال، أهمية التعاليق نقول أنها جاءت في حدود خمسين صفحة في الطبعة الفرنسية. خلت الترجمة الصادرة عن دار رياض الريس من تعاليق في غاية الأهمية تتعلق بالسيرة الذاتية للمؤلف، أو بظروف تأليف كتابه. ثم وقعت الترجمة في مزلق شائن عندما خلطت بين دوكورانسيه وجان ريمون. خلت الترجمة من تعريف للأعلام والأماكن. وتم حذف فصلين والتعاليق

(12) لويس دو كورانسيه، الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ، ترجمة مجموعة من الباحثين، ط.1 (بيروت: دار رياض الريس 2003). لويس الكسندر أوليفييه دو كورانسيه (1771 . 1832)، تاريخ الوهابيين منذ ، نشأتهم حتى عام 1809م .ترجمة: محمد خير البقاعي وإبراهيم يوسف البلوي، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز 1426هـ/ 2004م).

من كتاب دوكورانسيه. إن حذف الفصل الخامس عشر وعنوانه: اعتبارات عامة عن طبائع الشرقيين، يُعد انتهاكاً صريحاً لحرمة الكتاب.

عناوين فصول الكتاب: ترجمة حنيفي هلايلي

(1) أصل الوهابيين- تاريخ محمد بن عبدالوهاب وابن سعود (2) معتقد الوهابيين وعاداتهم (3) حملة باشا بغداد الأولى على الوهابيين والاستيلاء على مدينة الإمام الحسين (4) دخول مكة المكرمة (5) حصار جدة والهجوم على المدينة المنورة وهزيمة الوهابيين (6) وضع الوهابيين بعد موت عبدالعزيز وحملات سعود الأولى (7) أول هجوم وهابي على البصرة وموت إمام مسقط (8) حملة باشا بغداد على الوهابيين (9) الاستيلاء على المدينة المنورة واستقبال الحجاج في مكة (10) مهاجمة مشهد الإمام علي والزبير والسماوة (11) الاستيلاء على جدة وتوقف الحج (12) وضع الوهابيين والأقاليم المجاورة لهم في عام 1807م (13) أهم أحداث عام 1808م محاولات الوهابيين الوصول إلى سورية ومصر (14) آخر الحملات الوهابية على بغداد وهزيمة القواسم (15) تأملات في طبيعة الوهابيين وفكرة الهوية الوطنية التي تطورت لديهم لاحقاً (16) اعتبارات عامة تتعلق بطبائع الشرقيين. وأخيراً: التعاليق.

أهمية الكتاب

لا شك أن كتاب دو كورانسيه له أهمية بمكان إذ يخصص جانب مهم حول الروابط التاريخية بين فرنسا و الدولة السعودية الأولى فبالرغم من خروج فرنسا من مصر سنة 1801م، و تقلد نابوليون مهام امبراطور فرنسا سنة 1804م، لم يترك فكرة الحضور الفرسي في الشرق و مراقبة طريق الهند، و حيث كان على دراية واسعة بالمنطقة من خلال تقارير الجواسيس و الديبلوماسيين الفرنسيين. [13] و المتتبع لفحوى نصوص الكتاب يرى انبهار الفرنسيين بنشوء الدولة السعودية كقوة فاعلة في شبه الجزيرة العربية بهذا الشكل اللافت للانتباه و هو أمر كتب عنه الجغرافي الفرنسي ريغولات(Rigoulet) : " شهد هذا العصر تحولات بحرية بين أوروبا و المتوسط و سواحل المحيط الهندي، هذه التحولات والتحديثات أدخلت منطقة الجزيرة العربية في تطور مستمر على ضفاف الخليج الفارسي (العربي) و البحر الأحمر مع تصاعد أعداد الوافدين نحو الحرمين(الشريفين)." [14] من خلال ما كتبه القنصل الفرنسي حول محاولات نابوليون الإطاحة بشريف مكة غالب بن

(13) Antoine, Basbous, L'Arabie Saoudite en question, Paris, Perrin, 2002, pp.54-58.

(14) David ,Rigoulet-Roze, Géographie de l'Arabie saoudite, Paris, Armand colin,2005.

مساعد و التحالف مع الأمير سعود، يبن بجلاء خطة نابوليون في توظيف الإسلام ، و يعد من أوائل الساسة الأوروبيين التي استغل الدين لأغراض سياسية في المنطقة.[15]

خاتمة: تعلن «الأحداث » التي لم يشارك فيها نابليون في تاريخ شبه الجزيرة العربية عن بداية سلسلة من التطورات: انتقال الحداثة الأوروبية على أيدي المصريين إلى الحجاز بداية من عام 1811 م. وبالرغم من أن نابليون لم يطأ أرض الحجاز فإنه أدخل هذه المنطقة بصفة غير مباشرة في «لعبة أوروبية كبرى » محورها الإمبراطورية العثمانية، ونتج عنها توسيع التوازن الأوروبي من البحر الأبيض المتوسط إلى حدود الهند البريطانية. وبذلك يكون قد رسم ما سيُعرَف بعد قرنٍ من الزمان بالشرق الأوسط الذي لا تزال الأزمات الداخلية والتدخل الأجنبي يخترقانه حتى يومنا هذا. تسجل الحملة المصرية إذن قيام دولة في الجزيرة العربية لم تكن قد اتخذت بعد هويتها السعودية في الوعي السياسي الفرنسي. لقد شكلت مغامرة بونابرت المصرية أساس العلاقات الفرنسية العربية المعاصرة والبعد العربي.

وفي نهاية المطاف لم يكن لفرنسا أية علاقات مع الدولة السعودية الأولى، التي لم يكن لدى حكامها على الأرجح فكرة واضحة عن الخطط الفرنسية المتعلقة بالمنطقة، ولكنَّ نابليون ظل على اطلاع دائم بتطورها الذي أثّر في سياسته وسياسة خلفائه فيما يخص الشرق في فرنسا وكذلك في مصر. لقد جدد بونابرت إذن العهد مع طموحات فرنسا التي كانت تتجاوز مصرَ وحدها، وإن كان اختيارها نتيجة نضج تدريجي في العلاقات بين فرنسا والإسلام وليس بهدف إنهاء الهيمنة البريطانية على الهند فقط. إن قيام الدولة السعودية الأولى خلال العقود الأخيرة من القرن الثامن عشر وتوسعها الترابي بداية من الثمانينيات من القرن نفسه تتزامنا إذن مع حقبة وهن تلتها أزمة داخلية في فرنسا، أدت إلى تقهقر وجودها في المحيط الهندي وإلى قلة اهتمام بالتطورات السياسية التي كانت تشهدها شبه الجزيرة العربية. وفي مثل هذا السياق لا نجد أي كتابات فرنسية تعلق على نشأة الدولة السعودية الأولى ثم انطلاقها وتطورها.

الملاحق:

جدول (رقم 1) :حكام الدولة السعودية الأولى:

الرقم	الإمام	بداية الحكم	نهاية الحكم
01	محمد بن سعود	1157هـ / 1744م	1179هـ / 1765م

(15) Georges,Spillmann, Napoléon et l'islam,Paris,Perrin,1969.

	محمد الأول		
02	عبد العزيز بن محمد آل سعود عبد العزيز الأول	1179هـ / 1765م	1218هـ / 1803م
03	سعود الكبير بن عبد العزيز آل سعود سعود الثاني	1218هـ / 1803م	1229هـ / 1814م
04	عبد الله بن سعود آل سعود عبد الله الأول	1229هـ / 1814م	1233هـ / 1818م

خريطة تبين أحياء وسور وأبراج الدرعية زمن الإمام محمد بن سعود.

وثيقة النص التي تبين اللقاء التاريخي بين أمير الدرعية محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب، عام.1744

فسار اليه محمد فدخل عليه في بيت بن سويلم
وحسر به وقال ابشر ببلاد خير من بلادك وابشر بالعز والمنعة فقال له الشيخ
وانا ابشرك بالعز والتمكين وبهذه كلمة لا اله الا الله من تمسك بها وعمل بها ونصرها
يملك بها البلاد والعباد وهي كلمة التوحيد واول ما دعت اليه الرسل من اولهم الى اخرهم
ثم اخبره الشيخ بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما دعا اليه وما عليه
اصحابه رضي الله عنهم من بعده وما امر به وما نهى عنه وان كل بدعة بعده بدعة ضلالة
وما اعز الله به بالجهاد في سبيل الله واغنائهم به وجعلهم اخوانا ثم اخبره بما عليه
اهل نجد اليوم من مخالفتهم بالشرك بالله تعالى والبدع والاختلاف والجور والظلم
فلما تحقق محمد معرفة التوحيد وعلم ما فيه من الصالح الدينية والدنيوية
قال له يا شيخ ان محمدا دين الله ورسوله الذي لا اشك فيه وابشر بالنصرة لذلك
ولما امرت به من الجهاد لمن خالف التوحيد
.....
ثم ان محمد ابسط يده وبايع الشيخ على دين الله ورسوله والجهاد في سبيل الله
واقامة شرائع الاسلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قائمة المصادر و المراجع:

باللغة العربية:

1- روسو، بابتيس، وصف بشواتي بغداد سنة 1809، ترجمة: خالد عبد اللطيف حسن، (بغداد: بيت الحكمة)، 2012

2- ريمون، جان، التذكرة في أصل الوهابيين و دولتهم، ترجمة: محمد خير البقاعي(الرياض: دار الملك عبد العزيز)، 2003

3- لويس دو كورانسيه ،تاريخ الوهابيين منذ ، نشأتهم حتى عام 1809م. ترجمة: محمد خير البقاعي وإبراهيم يوسف البلوي، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز 1426هـ/ 2004م).

4- لويس دو كورانسيه، الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ، ترجمة مجموعة من الباحثين، ط.1(بيروت: دار رياض الريس 2003)

5- محمد خير البقاعي، من رحلات الفرنسيين إلى الجزيرة العربية، (الرياض: دار التراث)، 2004

6- موسيل ألويس، دراسة في تاريخ الدولة السعودية، ترجمة عن الألمانية و علق عليه: سعيد بن فايز السعيد، (الرياض : الدار العربية للموسوعات)، ط1، 1424هـ- 2003م

باللغة الأجنبية:

1-Basbous, Antoine, L'Arabie Saoudite en question, Paris, Perrin, 2002

2-Bonacina, Giovanni, « The Wahhabis Seen through European Eyes (1772–1830)", In The History of Oriental Studies, Vol.1, LEIDEN, 2015 Brill,The Netherlands.

3-De Corancez , Louis, Description du Pachalik de Bagdad suivie d'une notice sur les Wahabis, Paris: Treuttel et Würtz, 1809.

4-De Corancez, Louis Alexandre, histoire des Wahabis, depuis leur origine jusqu'à la fin de 1809, Paris, crapart, 1810.

5-Raymond, Jean, Mémoire sur l'origine des Wahabys : sur la naissance de leur puissance et sur l'influence dont ils jouissent comme nation, Paris, imp., institut français d'archéologie orientale pour la société de géographie d'Egypte, 1925.7 Vol.

6-Rigoulet-Roze, David, Géographie de l'Arabie saoudite, Paris, Armand colin,2005.

7- Rousseau, Jean Baptise Louis , Description du pachalik de Bagdad, suivie d'une notice historique sur les wahabis,et de quelques autres pièces relatives à l'histoire et à la littérature de l'orient,Paris,Treuttel,1809.

8-Spillmann, Georges, Napoléon et l'islam, Paris, Perrin, 1969.